كلية التربية الاساسية

القسم : التأريخ

المرحلة: الثانية

أستاذ المادة : م.م حنين رافع عودة

اسم المادة بالغة العربية :البلاد العربية الحديثة

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Modern Arab countries

اسم المحاضرة التاسعة باللغة العربية: الصراع الانجليزي - الفرنسي في القرن الثامن عشر والحملة الفرنسية على مصر عام 1798

اسم المحاضرة التاسعة باللغة الإنكليزية: The Anglo-French conflict in the eighteenth century and the French campaign against Egypt in 1798

المحاضرة التاسعة..... البلاد العربية الحديثة

الصراع الانكليزي – الفرنسي في القرن الثامن عشر والحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨:-

ازدادت اهمية الموقع الأستراتيجي لمصر منذ القرن الثامن عشر بفعل نضوج عوامل متعددة كان من أبرزها :-

١-تفاقم حدة الصراع الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا خاصة بعد ان عقدت شركة الهند الشرقية الانكليزية اتفاقية في ٧ اذار ١٧٧٥ مع حاكم مصر المملوكي .

٢-اعلان فرنسا الحرب على انكلترا التي بدأت تستفيد كثيلرا من موقع مصر وبدأت تنظر مدى خدمتها لمصالحها.

٣-الانتصارات التي حققها نابليون بونابرت على حساب اراضي ايطاليا والنمسا وكانت دافعا له لتحقيق انتصارات اخرى خارج اوربا اضف الى ذك تقارير الرحالة والقناصل الفرنسيين المرسلة الى الحكومة الفرنسية تبين لهم اهمية موقع مصر الجغرافي بين القارات الثلاثة واطلالتها على البحر الاحمر مما يوفر لها فرصة لتهديد مسالك انكلترا في البحار الشرقية نحو الهند .

بناءا على ذلك ظهرت وجهتا نظر في الحكومة الفرنسية حول غزو مصر :-

الاولى :- تعارضه حيث كانت ترى ان ضرب فرنسا لعدوتها انكلترا تكون مباشرة باتجاه الجزر البريطانية .

الثانية :- عبر عن وجهة النظر هذه كلا من نابليون بونابرت وتاليران وزير خارجية فرنسا مبينيين ان تكاليف الحملة على مصر اقل من تكاليفهاعلى الجزر البريطانية وان نتائجها مضمونة لانها ستعوض فرنسا عما فقدته من مستعمرات في

الهند وامريكا وان تحويل التجارة العالمية الى مصر بشق قناة بين البحرين الاحمر والمتوسط سيفقد بريطانيا احتكارها لطريق راس الرجاء الصالح وسيقضي على التجارة البريطانية حيث ان الطريق عبر مصر سيصبح بعد شق القناة اقل كلفة واقصر الطرق هذا مما سغري الدول الاوربية الى استخدامه وترك الطريق عبر راس الرجاء الصالح .

الحمـــــــــلة:-

أختمرت فكرة الاحتلال لدى الحكومة الفرنسية الا انها وضعت في حسابعا امرين

الاول :- هو الاسطول البريطاني البحري الكبيلر والذي كان يجوب البحر المتوسط آنذاك بقيادة الجنرال الادميرال نلسون وان فرنسا سوف تمنى بكارثة بحرية ان علم الاسطول البريطاني بتحركاتها .

الثاني :- ان فرنسا كانت تخشى غضب الدولة العثمانية التي كانت تلرتبط معها بعلاقات طيبة خاصة بعد ان كانت الدولة العثمانية من الدول التي أعترفت بألجمهورية الفرنسية سنة ١٧٩٤ لكن رغم ذلك فأن الفرنسيين وضعوا هذه الامور جانبا وخرجوا للعالم باسباب واهية .

نصبت الحكومة الفرنسية الجنرال نابليون بونابرت قائدا لما عرف باسم (جيش الشرق) في نيسان ١٧٩٨ وابحرت الحملة من ميناء طولون في جنوب فرنسا في مايس ١٧٩٨ وكان الجيش مؤلفا من ٤٠٠٠٠ جندي ومالزمهم من الخيول والمدافع ورافق الحملة ١٤٦ عالما وفنانا وجغرافيا وفلكيا وجيولوجيا وطبيبا فضلا عن ادواتهم العلمية وكان معضمهم من اعضاء المجمع العلمي الفرنسي .

في الاول من تموز بدأ أنزال الجيش الفرنسي بألقرب من الاسكندرية وبعد مقاومة عنيفة من سكانها أستطاع بونابرت دخول المدينة وسقط العديد من القتلى والجرحى من كلا الطرفين ،ثم واصل بونابرت زحفه نحو القاهرة وواجه جيشه صعوبات جمة لشدة الحر وقلة الماء والغذاء اضافة الى هجمات أبناء العشائر العربية المنتشرة على الطريق بين الاسكندرية والقاهرة حيث كانوا يتعقبون الجنود الفرنسيين ويغيرون عليهم .

وعليه وبالقرب من أهرام الجيزة وفي موقع غير بعيد عن القاهرة حدثت المعركة الفاصلة وهي معركة أمبابة او الاهرام وفيها اصطدم النظام العسكري المملوكي المتخلف بالنظام العسكري الحديث للفرنسيين وانكشف امر المماليك الذين لم يتمكنوا من الصمود طويلا اذ اضطروا الى الاستسلام للفرنسيين الذين دخلوا القاهرة في ٢١ تموز ١٧٩٨ ومنذ اليوم الاول لدخول الفرنسيين وزع نابليون منشورا باللغة العربية عرض فيه وبشكل غريب افكار الثورة الفرنسية في الحرية والآخاء والمساواة مع تهديداته بألوعيد وحرق القرى ضد من يتعاون مع المماليك ضد الفرنسيين.

بعد سقوط القاهرة عاد الاسطول البريطاني الى السواحل المصرية وكان بقيادة نلسون فدمر الاسطول الفرنسي في موقعة ابي قير البحرية في آب ١٧٩٨ اب بعد شهر تماما من من دخول الفرنسسين الى القاهرة وبذلك يكون نلسون قضى على اهداف بونابرت في استخدام مصر لمواصلة القضاء على المراكز البريطانية الاستراتيجية وخاصة في الهند وكان لتلك الموقعة تاثير نفسي بالغ الاثر على الفرنسيين لانها قطعت الاتصالات بين فرنسا نفسها وبين بونابرت الذي

أضطر للأعتماد على مصر في كل ما يحتاج اليه جيشه من ذخيرة وغذاء.

كان من نتائج الاحتلال الفرنسي لمصر فيما يخص ردود فعل الدولة العثمانية فأنها سارعت الى قطع علاقاتها مع فرنسا فتحالفت مع روسيا عدوتها القديمة ضد فرنسا صديقتها القديمة في كانون الاول ١٧٩٨ كما تم عقد معاهدة تحالف بين الدولة العثمانية وبريطانيا غي كانون الثاني ١٧٩٩ وبذلك ضمت كلا من الروس والانكليز مصالح أستراتيجية لهم في الدولة العثمانية ومياهها الاقليمية وذهبت سدى جميع محاولات القنصل الفرنسي في اسطنبول موضحا ان الحملة على مصر لم توجه ضد الدولة العثمانية وان فرنسا ترغب في ابقاء العلاقات طيبة بين الدولتين لكن العثمانيون لم يقتنعوا بجميع هذه المبررات لذلك قاموا بأعتقال القناصل والرعايا الفرنسيين ومصادرة أملاكهم.

ثورة القـــــاهرة الاولـــــــى :-

أختمرت عدة أسباب أدت الى أنفجار ثورة القاهرة الاولى ضد المحتلين الفرنسيين وهي :-

١-أعلان السلطان العثماني الحرب على فرنسا.

٢- تذمر المصريين من اجراءات الفرنسيين الضرائبية والمالية ومصادرة الاملاك اذ اراد نابليون استغلال مصر لاعالة جيشه وتموينه خاصة بعد ان قطع الاسطول البريطاني بقيادة نلسون المواصلات بينه وبين فرنسا نفسها .

وبذلك غدا جامع الازهر بؤرة من بؤر الثورة اذ تشكلت في إفنائه قوى المقاومة واعلنت الخطب وشارك في التجمعات الخطباء والعلماء والمشايخ والمدرسون فأعلن العصيان في ٢١ تشرين الثاني ١٧٩٨ وبدأت الاضرابات والتظاهرات التي سارت الى مركز القيادة الفرنسية معلنة سخطها وشكواها وأشترك الفلاحون في المظاهرات وقتل بعض الفرنسيين قرب مخافرهم وأزدادت الفوضى أثر الهجمات على العسكريين والجباة فأسرع نابليون في أتخاذ الاجراءات القمعية ضد الثوار وأمر جنوده بأطلاق الرصاص على الثوار وضرب الازهر بألمدافع واستشهد الآلآف من السكان تحت انقاض دورهم وارسلت الحملات العسكرية لحرق القرى الثائرة في منطقة الدلتا .

في هذه الأثناء وصلت أنباء عن تحرك الجيوش العثمانية نحو مصر في شباط ١٧٩٩ عندئذ قرر نابليون غزو سوريا وكان يهدف من وراء حملته الى الشام أحراج موقف الأسطول البريطاني في البحلر المتوسط والحيلولة دون حصوله على المؤن والتجهيزات من الموانىء السورية وقد سقطت العريش والرملة ويافا وغزة وفي آذار ضرب

الحصار حول عكا لمدة ثلاثة أشهر ثم أضطر الى الأنسحاب أمام حصونها المنيعة ومقاومة أهلها الباسلة فضلا عن المقاومة التي أبدتها الحامية التركية بقيادة أحمد باشا الجزار ومساعدة الأسطول البريطاني له وتفشي مرض الطاعون في جيش بونابرت وبعد عودته الى مصر قرر مغادرتها الى فرنسا بعد أن سمع بسخط الجيش وفشل الحكومة في مواجهة الأضطرابات الداخلية وتلب القوى الأوربية عليه وقد ترك نابليون للجنرال كليبر أمور قيادة الحملة في مصر.

ثـــورة القاهـــرة الثـــانيـــة:-

واجه الجنرال كليبر سنة ١٧٩٩ ثورة جديدة في القاهرة سميت بثورة القاهرة الثانية لكن كليبر قاوم الثورة بقساوة شديدة فطوق اقاهرة وقصفها بألمدفعية وعمد الى أشعال النار في الأحياء الثائرة ومهما يكن من أمر فقد شعر كليبر بعدم قدرته على البقاء في مصر فبعث برسالة الى الحكومة العثمانية وعليه بدأت المفاوضات العثمانية – الفرنسية التي أنتهت بعقد معاهدة العريش في كانون الثاني ١٨٠٠ والتي كان من ابرز بنودها (جلاء الفرنسيين عن أرض مصر بصورة كاملة والحيل على سفن عثمانية وفرنسية دون قيد أو شرط) لكن الحكومة البريطانية أعترضت فطلبت ان يسلم الفرنسيون كأسرى حرب فرفض الفرنسيون ودخلوا في مفاوضات مع الأنكليز وتم الأتفاق على الجلاء سنة ١٨٠١ ليساعد ذلك على الصلح بين بريطانيا وفرنسا المعروف بصلح أميان في ٢٧ آذار ١٨٠٢.

آثار الغزو الفرنسي ونتائجه :

بالرغم من فشل الغزو سياسية وعسكريا فإنه ترك آثارا مهمة في مصر والوطن العربي كله ، فقد أيقظ هذا الغزو الشعب العربي في مصر من سبات طويل قضاه في ظل السيطرة العثمانية وأشعره بشخصيته المتميزة ، ونبه شعوره القومي العربي الذي تمثل بثوراته المستمرة ضد الحكم الفرنسي وقارب بين فئاته المختلفة ، فكان ذلك إيذانا بمولد الفكرة القومية العربية في مصر .

ولقد أتاحت هذه للمصريين فرصة مقارنة مظاهر الحياة الأوربية والفكر الفرنسي الذي تسرب اليهم مع الغزو بمظاهر حياتهم ، فتفتحت أذهانهم وبدأوا عملية نقد لمجتمعهم وربطوا هذا المجتمع بالتيارات الدولية قدر استطاعتهم وخاصة بعد أن أصبحوا يسمعون أحاديث الفرنسيين عن إنجازاتهم التي حققوها في بلادهم والمتعلقة بالقضاء على الاقطاع وإقامة الحكم القومي المركزي هذا فضلا عن أن الغزو كان يجسم كل ما حققته أوربا في القرون الثلاثة السابقة كانت شرارة المواجهة بين النموذجين ذات مضاعفات لا حصر لها ، ورغم أن الغزو كان قصير الأمد ، إلا إنه مؤثر في حركة التحديث أو التغريب بمعنى الاقتباس من الغرب التي بدأت في عهد الوالي محمد علي باشا .

وهكذا كان للغزو الفرنسي تاثير واضح على بناء المجتمع العربي في مصر ، واتجاهاته الفكرية التي ظهرت آثارها واضحة فيما بعد ، إذ ضعضع الغزو البنيان الاجتماعي القائم آنذاك ، وهز المفاهيم الفكرية والاجتماعية التي كان المجتمع يخضع لها ، وعاش الناس في مصر ثلاث سنوات من

الأحداث الجسام ، كلها يكاد يكون جديدا وكلها يثير الفكر ، الأمر الذي أدى إلى فقدان ثقة المصريين بحكامهم من المماليك والعثمانيين ، وأصبحوا فجأة مسؤولين على الدفاع عن وطنهم فتقاربوا تحت هدف واحد ، وهو طرد الفرنسيين من بدلاهم وإقامة دولتهم الحديثة الموحدة القوية .

والفرنسيون كمستعمرين هدفهم استغلال البلد الذي يحتلونه استغلالا كاملا وتسخير إمكاناته في خدمة تطورهم الرأسمالي الانتاجي ، لذلك فإن بونابرت اصطحب معه ١٤٦ من العلماء والمؤرخين والجغرافيين والجيولوجيين والأطباء والفنانين والفلكيين واللغويين لدراسة مصر من كافة النواحي الجغرافية والتاريخية والزراعية ، لكي تنظم في ضوئها عملية استغلال البلاد ، وعندما تم تركيز السلطة الفرنسية في مصر تأسس مجمع علمي في ٢٢ آب ١٧٩٨ على غرار المجمع العلمي الفرنسي ، وكان بونابرت نفسه عضوا فيه ، وقد ضم المجمع أقسام : الرياضيات والطبيعيات والاقتصاد السياسي والأدب والفنون وكان يجتمع مرتين في الشهر ، ويحق لقواد الجيش الفرنسية وضباطه من غير أعضائه ، ومسائل التعليم والقضاء والتشريع المدني والجنائي ، ومن المزروعات التي كانت محل بحث : العنب والقمح .

لقد ضمنت الأبحاث التي أجراها المجمع العلمي في كتاب يعد الآن من الدراسات الكلاسيكية البارزة عن مصر بعنوان " وصف مصر "

كما بقي في مصر عدد من العلماء بعد جلاء الفرنسيين أسهموا في مجهودات محمد علي باشا لوضع مصر على عتبة الدولة الحديثة ، وما يزال المجمع العلمي المصري يعمل حتى وقتنا الحاضر .

وقد أنشأ الفرنسيون في القاهرة مطبعة عربية وأخرى فرنسية ، كانتا أول مطبعتين أسستا في الوطن العربي في العصر الحديث ، وأصدروا جريدتين فرنسيتين سنة ١٧٩٨ ، وكانت الأولى للدعاية ونقل الأخبار وتقديم الإشارات إلى الجنود الفرنسيين في مصر ، والثانية لمتابعة الشؤون العلمية في مصر ، وقد عثر أحد ضباط الحملة على " حجر رشيد " الذي نجح العالم الفرنسي شامبليون بقراءة الكتابة الموجودة عليه سنة ١٨٢٢ وبذلك حلّ رموز الخط المصري القديم المعروف بـ(الهيروغليفي) فكان لذلك أثر بالغ في الدراسات الأركيولوجية (الآثارية) فيما بعد .

يضاف إلى هذا إنجاز الفرنسيين الشيء الكثير في المجال الاجتماعي ومن ذلك إقامتهم المسارح لتمثيل الروايات التراجيدية والكوميدية والأوبرا كوميك . وفي الوقت ذاته أنشأوا مسرح تيفولي الكبير ، واتخذوا ميدان الأزبكية ومتنزه التيفولي مكانا لحفلاتهم التي حرصوا على إقامتها في المناسبات المختلفة على أن أخطر ما كان المصريون يأخذونه عليهم أنهم بما كانوا يظهرونه من أنواع الخلاعة والمجون في مهرجانات أعيادهم وفي مراقصهم – أفسدوا أخلاق البعض من الشبان وشجعوهم على الابتذال ، وقد اخذ الفرنسيون كذلك يرغمون الأهالي على كنس الشوارع والحارات والدروب ورشها بالماء وإضاءتها بالقناديل ، وكانوا يوقعون عقوبات صارمة على المقصرين في ذلك معلنين أن هدفهم المحافظة على الصحة العامة .

لقد قرر بونابرت كذلك تحقيق فكرة ربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر التي كانت قد ظهرت في المحافل الأوربية منذ القرن السابع عشر ، وعهد بتنفيذ ذلك إلى المسيو (ليبير)

رئيس مهندسي الطرق والجسور في فترة الغزو ، فقضى هذا سنتين في دراساته يساعده في ذلك عدد من مهندسي الحملة ورفع تقريرا إلى بونابرت تضمن خطأً هندسيا وهو ان مستوى البحر الاحمر أكثر ارتفاعا بما لا يقل عن اثنين وثلاثين قدما وستة إنجات من مستوى البحر المتوسط ، لذلك فإن فتح القناة يؤدي إلى طغيان مياه البحر على منطقة الدلتا ، وقد نشر المشروع في كتاب وصف مصر واطلع عليه فيما بعد رجل الأعمال الفرنسي فرديناندي ليسبس وأعجب به وصمم على تحقيقه وذلك بشق قناة في برزخ السويس تربط بين البحرين وقد تم ذلك له . وسط ظروف دولية وفنية صعبة وفتحت قناة السويس أمام الملاحة العالمية سنة ١٨٦٩.